الفصل الثامن
الطبيب الداعية الدكتور زكى على (*)
(١) مؤمن بَكَتْ لرحيله السماء والأرض !!

● أخيراً وبعد جهادٍ طويل فى سبيل الدعوة الإسلامية ورسالة العلم والطب ودفاع مجيد عن قضايا العرب والمسلمين، وبلاء حسن فى تعليم لغة القرآن الكريم للمستشرقين فى جنيف بقلب القارة الأوربية لنحو سبعين عامًا، يرحل العالم الطبيب والداعية الإسلامى النجيب والكاتب الشاعر الأديب الدكتور زكى على عن دنيا الفناء إلى دار البقاء ويفوز بلقاء الله تعالى، ويسبقنا إلى رب رحيم، ويسترد الخالق وديعته يوم السبت الحادى عشر من ذى القعدة لسنة (١٤١٩ هـ) الموافق السابع والعشرين من فبراير (١٩٩٩م) وَيُدفنُ جثمانه الطاهر – حسب وصيته – بجوار والديه فى قريته أنشاص البصل من أعمال مدينة الزقازيق بمصر عن أربعة وتسعين عامًا وشهرين بالتاريخ الشمسى الميلادى وقرابة سبع وتسعين عامًا بالتاريخ القمرى الهجرى.

● وفقدان هذا الرجل خطب جليل لكل المؤمنين الصالحين فى مشارق الأرض ومغاربها وخسارة كبرى لدعوة الحق وأهل القرآن أهل الله ودعاة الخير والإنسانية الكاملة، وعلى مثله تبكى السماء والأرض، وتصلى ملائك الرحمن؛ لما لهذا العبد المؤمن المخبت من يد بيضاء فى خدمة الإسلام والاشتغال بتبليغ رسالته وهدايته إلى الأوربيين والمثقفين المستشرقين وتعليم اللغة العربية فى جامعة جنيف للدارسين المستشرقين الأوربيين، مما هدى على يديه خَلْقًا كثيراً إلى الدين الحق، وساعد على تقديم صورة منصفة عن الإسلام والمسلمين عقيدة وتاريخًا وحضارة للدارسين الأوربيين وغيرهم من الأجانب، فكسب للإسلام بهم جنوداً مدافعين ودعاة مبشرين بالإسلام وثقافته بين الشعوب الأوربية بلسان أبنائها، كما

(*) صحيفة (أخبار الخليج) البحرينية في يوم الجمعة [٣٠ – ٤ – ١٩٩٩م].

لاحظنا فى أعلام القارة الأوربية المنصفين أمثال الدكتوره آنا مارى شميل والدكتورة زجريد هونكه والسفير الدكتور مراد هوفمان والمفكر الفرنسى الفيلسوف رجاء الله جارودى وغيرهم عشرات بل مئات من أبناء القارة البيضاء الذين اضطلعوا بدعوة الإسلام وتبليغ رسالته والذود عن حضارته بعد أن هداهم الله تعالى إلى دينه الحق.

● عاش الرجل فى قلب الأحداث يؤثر فيها ويتأثر بها وصولاً إلى نصرة الحق بالكلمة المكتوبة والمذاعة والمرئية وكتابة المقالة وتاليف الكتب فى خدمة العلم والطب باللغات الأوربية الكبرى الإنكليزية والفرنسية والألمانية التى يجيدها جميعًا متحدثا ومحاضرا وكاتبا كما يجيد لغته العربية ويبدع فيها نثرا وشعراً برغم إقامته وسط الأوربيين، وهو كذلك فى تآليفه وتصانيفه فى التعريف بالإسلام ولغة القرآن والدفاع عن قضايا شعوبه وأوطانه، وهو فى سبيل ذلك ظلّ على اتصال دائم بكل أعلام الإسلام فى مختلف بقاع المعمورة، يتابع ويرصد ويُحلل وينقد ويكتب بكل اللغات وتَنْشر مقالاته وآراءه بكل اللغات وكل الصحف والمجلات فى مصر والوطن العربى وأفريقية وآسيا والأمريكتين وقد عرضتُ لنشاط الرجل – رحمه الله تعالى – فى دراستى المنشورة عنه فى جدة بعنوان (من أعلام الدعاة فى أوربا – العلامة الدكتور زكى على) داعيًا نجيبًا وعالمًا طبيبًا وكاتبًا أديبًا.

– وقد راسلتُ الرجل إبان إقامتى فى البحرين عام اثنين وتسعين وتسعمائة وألف وقد رجوته أن يزودنى بنبذة عن سيرته الذاتية مع صورة شخصية لأستعين بها فى الكتابة عنه فكتب إلىّ فى إحدى رسائله إلينا كتب يقول: «أما ما طلبت منى أن أوافيك به بدافع محبتك وإخلاصك وحسن ظنك بشخصى الضعيف العاجز من نبذة عن سيرتى فأرجو أن تعذرنى فى عدم تدوينها ولو بغاية الإيجاز فى رسالة شخصية وحَسْبُك أننى أدعو لك بظهر الغيب وفى جنح الليل بصالح الدعاء»، ولما ألححتُ عليه فى طلب ذلك فى رسالة لاحقة كتب إلينا فى آخر

رسائله المؤرخة فى جنيف (ظهر السبت ١٣ من جمادى الأولى ١٤١٣ هـ - ٧ من نوفمبر ١٩٩٢م) كتب يقول: « ... فاعذرونى فى عدم إرسال مقالات أوصور لشخصى راجيا عدم الإلحاح، وإنى أعانى من كثير من ضعف البدن والبصر المعوِّق ومن متاعب الهرم» فإنى من مواليد عام [١٣٢٢هـ] فتفضلوا بالتوقف عن الحديث فى هذا الموضوع لا سيما أننى دائم التفكير فى حديث سيدنا محمد رسول الله ﷺ: (الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت) وأسأل الله حسن الخاتمة وفى نيتى الاعتكاف بلا تراسل وتزاور إلى أجل غير مسمّى ولكم منى طيب التحيات وعاطر الذكريات».

● وبرغم اعتكاف داعيتنا المجاهد ليعبد ربه حتى يأتيه اليقين إلا أنه ظلَّ على صلة بهموم الدعوة وقضايا أمته الإسلامية بلقاء الأحبة المقربين الذين كانوا يلتقونه فى جنيف بحكم الإقامة أو الزيارة ومن هؤلاء الأعلام الذين تبادل معهم الرسائل حتى عام (١٩٩٧م) تقريبًا الأديب الحجازى الرائد الشيخ محسن أحمد باروم الذى التقى داعيتنا فى جنيف فى بداية الستينيات الميلادية من هذا القرن العشرين حين أَمَّ جنيف ليؤسس المكتب الثقافى السعودى فى جنيف ويكتب عن هذا اللقاء: «لقد كان الدكتور زكى على حين قابلته مرة فى شقته المتواضعة بشارع ٣١ ديسمبر فى جنيف الصاخبة، قد اعتزل الحياة الدنيا والكون المحيط به، وانقطع لعبادة ربه، بعد أنْ قطع من العمر قرابة خمسة وخمسين عامًا آنذاك (فى بداية الستينيات الميلادية) قضاها مجاهدا فى سبيل قضايا شعوب أمة الإسلام، وفى مقدمتها وطنه العزيز مصر، ولم تترك له حوادث الأيام ومصائب الدهر ومشكلات السياسة الإسلامية ومصاعب العيش إلا ركامًا من أمراض الضعف، ووهن العظام وأوجاع الشيخوخة، التى عايشها بقلب مطمئن، ونفس مليئة بالأمل فى رحمة الله وغفرانه وحسن ثوابه».

● ولداعيتنا الفقيد عاطفه خاصة نحو الإمام الشافعى، فقد أحبه حبًا جمًا

فقيهًا وشاعرًا، وتعلق به تعلقًا رُوحيًّا عجيبًا، حتى إنّ زيارة مسجد الإمام الشافعى فى القاهرة وزيارة قبره كانت آخر عهده بوطنه مصر حين ودعها مبتعثًا من طب قصر العينى للدراسات العليا فى باريس عام [١٩٣١م] وكثيرًا ما يردد أشعار الشافعى فى رسائله ومؤلفاته بالعربية، ومن ذلك ما ورد فى خطابه للشيخ محسن أحمد باروم حيث يقول له فيه: « . . .وأنا – كما ذكرت لك – أثناء زيارتك الخاطفة أنى أعيش كالمعتكف فى (صومعته) كالغريب عن دنيا هذا الزمان، بل وعن أهل هذا الزمان، أضف إلى ذلك نُدرة زيارة الإخوان، الذين لا يبلغ عددهم كل أصابع يدٍ واحدة، والحمد لله على كل حال، وإنى أذكر بينى وبين نفسى قول الشافعى:

بموقف ذُلى دون عزتك العظمى ... بمخفىّ سرٍّ لا أُحيطُ به علما
بإطراق رأسى باعترافى بزلتى ... بمد يَدى أستمطر الجود والرحما
أذقنى شراب الأُنس يا من إذا سَقى ... مُحبًّا شرابًا لا يُضام ولا يَظما

هكذا كان الدكتور زكى على فى غربته الروحية، يعيش بجسمه بين كتل الأحياء الذين يحيطون به من كل جانب، ولكنه ينأى بروحه وفكره ووجدانه عنهم» والتعبير للشيخ محسن باروم فى التعليق على خطاب الدكتور زكى على إليه [1]. (من أعلام الدعاة فى أوربا ص ٢٧، ٢٨ لكاتب المقالة – عالم المعرفة بجدة – الطبعة الأولى [١٤١٨ هـ – ١٩٩٨م].

● وممن عرف للداعية الفقيد حقه وكتب يُنبه إلى فضله الأديب الإسلامى الشهير والإعلامى القدير الأستاذ فهمى هويدى الذى سطر بيراعه المثقب مقالته المنشورة فى مجلة (المجلة) الدولية فى عددها الصادر فى لندن بتاريخ [١٥/ ٨/ ١٩٩٨م] بعنوان (الدكتور زكى على الذى لم يعد يذكره أحد) وأعلى هذا العنوان الرئيسى فى أقصى يمين الصفحة جعل عنوانًا جانبيًا ثانويًا

---

(١) الجوهرى. عبد اللطيف – من أعلام الدعاة فى أوربا – العلامة الدكتور زكى على ص ٢٧ – ٢٨ – الطبعة الأولى (١٤١٨ هـ – ١٩٩٨م) الناشر: عالم المعرفة بجدة.

لافتًا يقول: (أقدم عربى فى جنيف طريح الفراش وينتظر الأجل وحيداً) وقد أشار فيها إلى الدراسة المفصلة المنشورة فى كتاب برعاية الشيخ محسن أحمد باروم وبدعوة نديّة منه والتى عنوانها: [من أعلام الدعاة فى أوربا - العلامة الدكتور زكى على] لصاحب المقالة، وقد استجاب رجال الحرس الوطنى فى المملكة العربية السعودية بأوامر من سمو الأمير عبد الله بن عبد العزيز آل سعود ولى العهد لما ورد فى المقالة المذكورة وعرضوا شتى أنواع المساعدة لداعيتنا الدكتور زكى على وخدمته إلا أن حالته لم تسمح بالانتقال لمستشفى الحرس الوطنى بالرياض فقُدمتْ للرجل ألوان أخرى من الرعاية والمساعدة جزى الله كل من قام بها أو انتبه إليها وأمر بها خير الجزاء، يقول الأستاذ فهى هويدى: «ما من عربى أو مسلم ذهب إلى جنيف طيلة الستين سنة الأخيرة إلا وسمع باسم الدكتور زكى على أو سعى إليه، وما من قضية من قضايا العرب والمسلمين أثيرت فى أوربا طيلة تلك الفترة إلا وكان الدكتور زكى على فى مقدمة المدافعين عنها فى كل الساحات ومن فوق كل المنابر، بالرغم من ذلك - وفى حدود علمى، فإنه ما من عَلَم من الأعلام لقى تجاهلاً ونكرانًا من جانب أمته بقدر ما لقى ذلك الرجل المدهش!.

- ويمضى الأستاذ فهمى هويدى فى مقالته فيقول: «بعد رحلته الطويلة والحافلة، وقد بلغ من العمر الآن (٩٣) عامًا، يرقد الدكتور زكى على هذه الأيام فى إحدى مستشفيات جنيف ينتظر الأجل المحتوم، وقد استبد به الضعف والوهن، وعجزت قدماه عن حمله، حتى عينه التى بقيت له لا يكاد يبصر بها إلا بصعوبة بالغة، كل ما يحلم به أن يؤدى فريضة الحج، وكل ما يخشاه أن يموت وحيداً وليس إلى جواره أحد من المسلمين الأتقياء، كما ذكر فى إحدى رسائله [1] (مجلة (المجلة) العدد - ٩٦٥ - ص ٣٠).

---

(١) هويدى. فهمى. مجلة (المجلة) الدولية. لندن. العدد (٩٦٥) ص ٣٠ - أغسطس ١٩٩٨م.

● وبعد : فقد مات الرجل واستراح من عناء الدنيا وتحرر من سجن الجسد وسجن الدنيا وفاز بلقاء الله الذى كان مستعداً له منذ سنوات وسنوات، ليلحق بركب الصالحين والأنبياء والشهداء مع الصديقين، وليلقى محمداً وصحبه وحَسُنَ أولئك رفيقا، وصدق الله العظيم القائل فى كتابه الكريم : ﴿ **يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي** ﴾ [الفجر: ٢٧ – ٣٠] وإنا لله وإنا إليه راجعون .

* * *

(٢) الدكتور زكى على (*) :
وسبعون عاما فى خدمة العلم والإسلام

● ولد الدكتور أحمد زكى على العشماوى (والذى اختصر اسمه إلى زكى على واشتهر به فى الأوساط العلمية والأدبية) ببلدة أنشاص البصل من أعمال مدينة الزقازيق بمحافظة الشرقية بمصر أواخر يناير ١٩٠٥م ونشأ نشأة إسلامية فى بيت علم ودين وتلقى دراسته الأولية والابتدائية والثانوية فى الزقازيق والقاهرة.

– اشتعلت الحركة الوطنية المصرية فى مارس ١٩١٩م وهو فى المدرسة الخديوية بالقاهرة فانخرط بين صفوف شبابها الثائر وانضم إلى صفوفها، ونشرت أول مقالة وطنية له بعنوان «فى سبيل الاستقلال» بجريدة «النظام» بالقاهرة فى سن الخامسة عشرة، ثم تتابعت مقالاته الوطنية فى الصحف والمجلات.

– التحق الدكتور زكى على بمدرسة الطب المصرية بقصر العينى ونال منها إجازة الطب فى يناير ١٩٢٧م واشتغل طبيبا لشركة النفط الانجليزية (شل) بالغردقة وهناك ساءته حالة الذل والظلم التى يعانيها الأهالى والعمال المصريون من الشركة فعمل على رد حقوقهم وحث الأهالى على التمسك بالدين ومكارم الأخلاق حيث كان يخالطهم فى مسجد الغردقة.

عاد الدكتور زكى على من الغردقة ليعمل طبيبا بقصر العينى وافتتح عيادة طبية بالقاهرة وأخرى فى بردين من أعمال محافظة الشرقية بمصر.

– وفى سنة ١٩٣١م ألف بالعربية رسالته الأولى فى الطب بعنوان (الطب العربى وتأثيره فى مدنيّة أوروبا) وطبعتها دار الكتب المصرية والتى كتب عنها أحمد الصاوى محمد يقول: (الطب العربى وتأثيره فى مدينة أوروبا) صفحات

(*) صحيفة (الأخبار) القاهرية يوم الجمعة ١٨/٣/١٤٢٠ هـ – ٢/٧/١٩٩٩م.

لا يجوز لرجل مثقف أن يجهلها، ففيها. كما قال هذا الدكتور الكريم إحياء لمآثر العرب العظيمة ومفاخرهم النبيلة تخرج للناس يجدون فيها علما مأثورا ودليلا ساطعا وحجة ناطقة بحضارة العرب ومدنيتهم ممثلة فى الطب العربى الذى جَعَلوه وثيق الأركان رفيع البنيان وخلدوا معالمه فى لوح التاريخ .. ويختم الأستاذ أحمد الصاوى محمد كلمته عن مؤلف الدكتور زكى على فى الطب بقوله: مع صغر هذه الرسالة القيمة فإن مؤلفها البارع أتى فى آخرها بعشرين مرجعا بين عربية وانجليزية وفرنسية وطبعها طبعا متقنا فى مطبعة دار الكتب المصرية، وهو ما يستحق عليه الشكر والثناء».

– تعاطى الدكتور زكى علي – رحمه الله – صناعة الطب وزاول مهنته فى مصر وفرنسا والنمسا وجنيف بسويسرا التى حط برحاله فيها منذ أواخر عام ١٩٣٤م حتى وفاته آخر فبراير ١٩٩٩م.

وقد نشرت أبحاثه الطبية فى المجلة الطبية المصرية بالقاهرة والمجلات الطبية المتخصصة المشهورة فى سويسرا وايطاليا وألمانيا وبلجيكا ولقد عُدَّ بحث طبيبنا الرائد الدكتور زكى على (تاريخ الجراحة العربية فى أسبانيا «الأندلس») الذى نشر فى باريس بالفرنسية عام ١٩٣٢م معادلا لرسالة دكتوراه فى الطب كذلك بحثه (الدهانات التالية لعمليات جراحية) الذى كتبه بالفرنسية ونشر فى سجلات الأمراض العصبية والنفسية بسويسرا سنة ١٩٤١م، وفى سنة ١٩٨٣م انتخب الدكتور زكى على عضوا مزاملا فى الجمعية الطبية بجنيف كما رشحته نقابة الأطباء فى جنيف فى العام ذاته رئيسا لأطبائها باعتباره أكبر الأطباء سنا إلا أنه اعتذر عن ذلك لظروفه الصحية.

● كان ذلك فى مجال الطب وعلومه (أما) عن عطائه العبقرى فى مجالات النشاط الفكرى والأدبى لحضارة أمته العربية الإسلامية فقد عكف الدكتور زكى على منذ أن حط برحاله فى باريس فى نوفمبر عام ١٩٣١م للتخصص الطبى على الدرس والاستزادة من العلم، ولم ينس قضية الاحتلال البغيض لبلاده فى مصر

والأوطان العربيه والإسلامية، وما لبث أن تواصل مع الأوساط العربية والإسلامية في باريس ليواصل جهاده في سبيل العلم والدعوة لاستقلال بلاده وسائر الأوطان العربية والإسلامية.

وفي ربيع عام ١٩٣٢م انتخب عضوا في جمعية تاريخ الطب الفرنسية بَيْد أن دراساته العلمية لم تشغله عن مواصلة جهاده في سبيل الدعوة الإسلامية فانتقل من باريس إلى فيينا عاصمة النمسا حيث شرع يعمل للدعوة الإسلامية وحرية واستقلال بلاده بعقد الاجتماعات وإلقاء الخطب والمحاضرات والأحاديث الإذاعية بالإسلام وعالمه الفسيح والدعوة إلى قيمه ومثله العليا، وقام بالاتصال بكثير من المفكرين المشتغلين بالشئون الإسلامية في الشرق والغرب.

– ومن أجل تأدية رسالته أسس الدكتور زكي علي (رابطة الثقافة الإسلامية) في فيينا عاصمة النمسا سنة ١٩٣٢م كما اشترك في تأسيس جمعيات إسلامية أخرى في وسط وغرب أوروبا.

● غير أن الدوائر الاستعمارية الاستكبارية لم تستقبل نشاط الدكتور زكي عليّ المبتعث من طب قصر العيني للدراسات العليا في الطب بالارتياح فأوحت تلك الدوائر للقائمين على رئاسة البعثة في أوروبا بتوجيه الأمر للدكتور زكي علي بالعودة الفورية إلى انجلترا وإلا اعتبر مفصولا من البعثة ولم يستطع الدكتور زكي تنفيذ الأمر لأنه كان مريضا وطريح الفراش في مستشفى بادن من ضواحي فيينا وكأن الدوائر الاستعمارية والعناصر الموالية في الحكومة المصرية تعرف ذلك، وقد استغلت تلك الظروف لإعادة الدكتور زكي إلى مصر أو فصله فصلا تعسفيا من البعثة الطبية وكان لهم، وضحى الرجل مضطرا بوظيفته كأستاذ في طب قصر العيني وقطع عنه عطاء البعثة ومنحتها من الحكومة المصرية في ظل الاحتلال آنذاك، وتحدى داعيتنا المجاهد الصعاب والشدائد التي واجهته من الفقر والمسغبة فلزم التقشف في مجتمعات الرفاهية واتخذ من جوعه صوما يتقرب به إلى الله تعالى.

– ولما لمع نجم الدكتور زكى على فى سماء أوروبا مدافعا شجاعا عن قضايا الأوطان العربية والإسلامية وجهادها فى سبيل الحرية والاستقلال دعاه الأمير شكيب أرسلان للإقامة معه فى جنيف فأمها أواخر عام ١٩٣٤م ليكون عضوا فى اللجنة التى يرأسها الأمير شكيب أرسلان للإعداد للمؤتمر الإسلامى العالمى الأول فى قلب أوروبا عام ١٩٣٥م، فى جنيف حيث مقر عصبة الأمم فلبى الدعوة وانتقل إلى جنيف واستقر بها، وتولى سكرتارية أول مؤتمر إسلامى عالمى، واتخذها منذ ذلك الحين مركزا لجهاده يرقب منه أحوال العالم العربى وأوطان الأمة الإسلامية، ويُكوّن مع الأمير شكيب أرسلان والشيخ والإعلامى على الغاياتى صاحب مجلة (منبر الشرق) قاعدة صلبة فى تنظيم الكفاح وتنسيق جهود المقاومة ضد أعداء الأمة من المحتلين الطامعين المتربصين.

– يقول الدكتور زكى على فى كتابه المؤلف بالفرنسية (هذه هى الشعوب البيضاء) عن تلك الفترة من ثلاثينيات القرن العشرين: «لقد اكتشفت فى أوروبا حالة مؤلمة من الجهل بدينى (الإسلام) كما تجلّى لي وجود كثير من الآراء المتعسفة الظالمة مع سوء الفهم والجهل وقيام أفكار خاطئة فى ذهن الرجل العادى فى الغرب عن الإسلام والمسلمين وهنا عرضت على نفسى العمل لإيجاد حالة أفضل من التفهم والتقدير بين العالمين الغربى (الأوروبى) والإسلامى، وبوصفى وطنيا آليت على نفسى أن أعمل فى أوروبا بقلمى ولسانى مكافحا فى سبيل تحقيق الحرية والاستقلال لوطنى».

– وخلال إقامته فى جنيف فى أواخر عام ١٩٣٤م إلى وفاته بها آخر فبراير ١٩٩٩م حيث غادر دنيانا إلى دار البقاء وانتقل إلى جوار الكريم فى ١١ من ذى القعدة ١٤١٩ هـ – الموافق ٢٧ من فبراير ١٩٩٩م حفلت حياة داعيتنا الطبيب الرائد بالعطاء المتواصل فى سبيل العلم وتطبيب جراح الجسد والنفس متتبعا مسيرة أمته راصدا أحوالها على مختلف الأصعدة اقليميا وعربيا وإسلاميا وكونيا حتى أن كتابه «الإسلام فى العالم» الذى ألفه بالإنجليزية وصدرت طبعته الأولى

فى لاهور عام ١٩٣٨م كتب عنه الأستاذ محمد لطفى جمعة فى مجلة (الرابطة العربية) أواخر الثلاثينيات يقول: «لم يضع كاتب حديث ولا قديم بلغة غير لغته كتابا على هذا النمط العالى، كما صنع الدكتور زكى على نزيل جنيف وخادم العلم والوطن والملة. وإذا كان هذا الرجل الفذ لا يزال فى العقد الرابع، كما علمنا من بعض عارفية الثقات فلا يعلم إلا الله ما يصل إليه بعد عشرين سنة من الدرس والتحصيل والتنقيب والتأليف.

كما عرض لكتاب الدكتور زكى على كتاب كثيرون منهم صاحب مجلة (الفتح) الأستاذ محب الدين الخطيب فى مقالته المجيدة بالفتح والتى دعا فى نهايتها الدولة المصرية للاستفادة من عبقرية الدكتور زكى على وقدراته الفريدة فى العلم والمعرفة للنهوض بالوطن والأمة كما تفعل الدول المتحضرة التى مثل لها بإيطاليا وهولندا.

– وعن قصة اتصال وزير الدعاية فى حكومة الزعيم الألمانى هتلر الدكتور جويلز بالدكتور زكى على يقول: «على أثر ظهور الطبعة الأولى من كتابى بالانجليزية (الإسلام فى العالم) سنة ١٩٣٨م والاستقبال العظيم الذى قوبل به فى الشرق والغرب بفضل من الله عظيم والحمد لله على آلائه كتب إلى الناشر الألمانى (باول لست) راجيا السماح له بترجمته إلى الألمانية فأرسلت إليه نسخة لهذا الغرض، ولكن كان لا بد من عرضها أولا على الدكتور جوبلز وزير الدعاية (البروبجاندا) فى عهد هتلر فرفض أن يترجم كتابى، لأن ما ذكر فيه عن نظام الإسلام ونهجه لا يتفق مع مبادئ ونظريات النظام الهتلرى، فعاد الناشر يرجونى أن أكتب فصلا عن (ألمانيا والإسلام خلال العصور) لينشره فى ختام الكتاب المذكور .. وفعلا بعثت بالفصل المطلوب (بالألمانية طبعا) إنما – مع الأسف – عرض من جديد على وزير الدعاية الهتلرية فحذف جانبا كبيرا منه، فيه بيان لسمو الإسلام فوق القوميات والعصبيات والعنصريات والسلاليات وفوق النظم البشرية الوضعية سواء كانت ليبرالية أم ديكتاتورية .. إلخ .. ثم نشر الكتاب

والفصل بعد ذلك الحذف بدون أخذ ولا رد معى ولهذا لم أذكره من قبل بين مؤلفاتى بسبب ما حصل فيه من حذف ونسخ».

– سجل اسم الدكتور زكى على بأحرف من نور فى بعض دوائر المعارف الدولية مع الإشارة فى بعض دوائر المعارف العالمية إلى أبرز أعماله ومؤلفاته ونبذة عن حياته.

● وبعد فهذه مؤلفات الدكتور زكى على رحمه الله:

(١) رسالة الطب العربى وتأثيره فى مَدينة أوروبا [بالعربية] صدر فى القاهرة (١٩٣١م).

(٢) الإسلام فى العالم (بالإنكليزية) صدرت طبعته الأولى (١٩٣٨م) وطبعته الثانية (١٩٤٧م) فى لاهور ثم نشر فى الستينيات فى نيويورك فى أمريكا دون إذن المؤلف.

(٣) لمحات فى الإسلام (بالإنكليزية) سنة (١٩٤٤م) الطبعة الأولى فى جنيف والثانية فى لاهور سنة (١٩٥٤م).

(٤) أوربا والإسلام [بالفرنسية] ونشر فى جنيف (١٩٤٥م) وترجم إلى العربية فى لبنان ونشرته دار الكشاف فى بيروت سنة (١٩٤٩م) دون إذن المؤلف.

(٥) اللغة العربية فى العالم [بالفرنسية] نشرته مدرسة الترجمة بجامعة جنيف سنة ١٩٥٠م ثم ترجمته إلى العربية مجلة (الأنوار) فى تطوان (المغرب) سنة (١٩٥٠م).

(٦) تأثير الثقافة الإسلامية فى الغرب (بالألمانية) ونُشر فى أولتن (OLTEN) بسويسرا (١٩٦٠م).

(٧) هذه هى الشعوب البيضاء [بالفرنسية] وطبع فى لوزان (سويسرا) ونُشر سنة ١٩٧٣م.

● وللعلامة الدكتور زكى على (١٥) خمسة عشر بحثًا طبيًا نُشرت فى

مجلات طبية متخصصة فى مصر وفرنسا وسويسرا وألمانيا وبلجيكا وإيطاليا واعْتُبِر أحد هذه الأبحاث (بالفرنسية) وهو (الدهانات التالية لعمليات جراحية) والذى نشرته مجلة السجلات السويسرية للأمراض العصبية والنفسية عام ١٩٤١م معادلاً لرسالة دكتوراه فى الطب من جامعة سويسريه .

● كما شارك مع الزعيم أغاخان فى تأليف كتاب عن الحضارة العربية الإسلامية بالانجليزية كتب الدكتور زكى فصله الثانى وعرض فيه لفضل الحضارة العربية والإسلامية على أوروبا فى مختلف نواحى الفكر والثقافة والتبادل الحضارى .

– تبادل الدكتور زكى على الرسائل مع أقطاب الفكر والرأى والأدب فى العالم الإسلامى والأوربى والأمريكى ومن هؤلاء الفيلسوف الدكتور محمد إقبال شاعر الإسلام والهند والباكستان والعلامة الرائد محمد فريد وجدى والسفير والجامعى الدكتور عبد الوهاب عزام وأديب الإسلام العلامة أبو الحسن الندوى والأديب السعودى الرائد الشيخ محسن أحمد باروم والأديب الموسوعى الأستاذ أنور الجندى والداعية المهندس محمد توفيق بن أحمد سعد صاحب « البريد الإسلامى » وصاحب مجلة « الفتح » الأستاذ محب الدين الخطيب والكاتب الإسلامى العبقرى الأستاذ فهمى هويدى والزعيم أحمد حسين والأمير شكيب أرسلان والمجاهد على الغاياتى صاحب (منبر الشرق) والشاعر الدكتور مختار الوكيل وملك بلجيكا وأدباء ندوة العلماء بالهند وصاحب هذه السطور وغيرهم وغيرهم .

● قام الدكتور زكى على بدعوة من جامعة جنيف ١٩٤٣م بتدريس اللغة العربية والترجمة الفورية من اللغة العربية وإليها من مدرسة الترجمة الملحقة بالجامعة فقبل ذلك وقام بهذا العمل لخدمة لغة القرآن الكريم وآدابها على مدى تسع عشرة سنة .

والدكتور زكى على شاعر بالفطرة والنشأة وله شعر جيد ونثر بديع، ولعل أشهر ما وصلنا من شعره قصيدته فى وداع مصر حين غادرها أواخر عام ١٩٣١م والتى مطلعها :

وداعا منك يا مصر وداعا وليس البعد عنك هوى مطاعا [1]

● وقد كان له كَلَف بشعر الإمام الشافعى الذى تعلق به قلبه حتى عد من مريديه ومحبيه وكثيرا ما استشهد بشعره فى رسائله لأحبابه وتلاميذه وإخوانه، ولا غرو أن يكون آخر ما فعله قبيل مغادرته مصر للدرس فى أوروبا زيارة لقبر الإمام الشافعى ومسجده فى القاهرة. لقد أدرك الدكتور زكى على – رحمه الله – الغاية التى خلقه الله من أجلها فى هذا الكون، وآمن إيمانا جازما أنه خلق فى هذه الحياة لغاية سامية وحكمة بالغة، ألا وهى خلافة الله تعالى فى الأرض وعبادته عبادة تستوعب نشاطه الإنسانى كله، ليأتى موافقا لطاعة الله تعالى وطمعا فى رضاه، وليكون من الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه، وكان إيمانه ذلك من وراء عطائه العبقرى فى مجال الطب والعلوم والآداب والحضارة الإيمانية وخدمة قضايا الأمة الإسلامية ووحدتها ونهضتها.

– وبعد: فلا أجد أنسب ولا أدل من هذه الكلمات على لسان الدكتور زكى على فى تعريف نفسه إلى القارئ الكريم فيقول – رحمه الله – وكأنه يودع دار الفناء:

إنى أثق أننى غريب فى هذه الدنيا، عابر سبيل مجهول، وحسبى ذكر الله الذى يعلم ما فى السرائر والضمائر والقلوب، وأقول ما قاله إمامى الإمام الشافعى رضى الله عنه:

ولما قسا قلبى وضاقت مذاهبى جعلت الرجا منى لعفوك سلما
تعاظمنى ذنبى فلما قرنته بعفوك ربى كان عفوك أعظما

فاللهم اغفر لى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت وأرحمنى يا أرحم الراحمين يا رب العالمين آمين.

* * *

(١) انظر كاتب المقالة فى كتابه [من أعلام الدعاة فى أوربا – الدكتور زكى على] (عالم المعرفة) بجدة – الطبعة الأولى [١٤١٨ هـ – ١٩٩٨م].